تجربة فلاديمير بروب:

يعد فلاديمير پروپ (Vladimir Propp) من أهم منظري الأدب، خاصة في مجال الحكاية الشعبية. ويعتبر أيضا من أهم الدارسين الروس في الأدب الشعبي (الفلكلور)، إذ اهتم بالحكاية، والقصيدة الغنائية، والقصيدة الملحمية ، ومن أهم كتب فلاديمير بروب: مورفولوجية الحكاية الشعبية (1928م) ، والجذور التاريخية للحكاية الشعبية (1946م) ، والقصيدة الملحمية الروسية(1955م) ، والقصائد الشعبية الغنائية (1961م) ، والحفلات الفلاحية الروسية (1963م).

سياق كتاب (مورفولوجية الحكاية الشعبية) :

يعد كتاب (مورفولوجيا الحكاية الشعبية) من أهم الكتب النقدية في مجال علم السرد (Narratologie)، وقد نشر سنة 1928م بلينيكراد. وقد درس فيه الباحث مائة حكاية روسية عجيبة، ضمن تصور منهجي شكلاني مورفولوجي أو صرفي. ولم يشتهر هذا الكتاب إلا بعد ترجمته إلى الإنجليزية والفرنسية. وقد أحدث هذا الكتاب ضجة لسانية وثقافية وسط المثقفين الغربيين، خاصة في سنوات السبعين من القرن الماضي كما هو شأن المساجلة العلمية التي دارت بين كلود ليفي شتروس (Claude Lévi Strauss) وفلاديمير بروب حول المنهج. إذاً، ما المنهج الذي تبناه فلاديمير بروب في كتابه(مورفولوجية الحكاية العجيبة)؟

التصور المنهجي:

ينطلق فلاديمير بروب، في كتابه (مورفولوجية الحكاية العجيبة)، من مقترب شكلاني صرفي لدراسة الحكايات الشعبية الروسية، بالتركيز على المبنى الحكائي من جهة، ورصد الأنساق الهيكلية لتلك الحكايات المتعددة. وفي هذا الصدد، يقول فلاديمير بورب:" إننا سنعمل على مقارنة الأبنية الحكائية لهذه الخرافات فيما بينها، ولأجل ذلك سنعزل، في البدء، الأجزاء المكونة لها،

متتبعين مناهج متميزة، وبعد ذلك سنقوم بمقارنة الخرافات وفق أجزائها المكونة.وستكون نتيجة هذا العمل مورفولوجيا.أي: وصفا للخرافات حسب أجزائها المكونة، وللعلاقات فيما بينها، وفيما بينها وبين المجموع."

بمعنى أن الدارس يميز بين المبنى الحكائي والمتن الحكائي على غرار توماشفسكي، لكن ما يهمه هو التوقف عند المبنى الحكائي من أجل استكشاف الأنساق البنيوية التي تتحكم في الحكايات، مع استجلاء مكوناتها التي ستسمح بالمقارنة بين مختلف الحكايات، دون نسيان التركيز على العلاقات الموجودة بين هذه الحكايات ضمن مقارنة جزئية أو كلية. ومن ثم، يعتبر بروب الخرافة بمثابة مسندات، و فواعل، ومكملات. أي: يدرس بروب الحكاية الشعبية دراسة نحوية ولسانية، فيركز على ماهو أساسي (الإسناد الفعلي والشخوصي)، ويستغني عن المكملات. ويلاحظ بروب أن الذي يتبدل في الحكايات هو أسماء الشخصيات، لكن الثابت هو أفعالهم ووظائفهم.لذلك، ينبغي – أولا– عزل الوظائف الثابتة والمستمرة في الحكاية التي تحيلنا على وظائف الشخصيات، مهما تكن هذه الشخصيات، ومهما تكن طريقة إنجازها لهذه الوظائف.إن الوظائف هي الأجزاء المكونة الأساسية للخرافة. ثانيا، الاستغناء عن الجوانب المتغيرة المساعدة، مثل: أسماء الشخصيات ونعوتها وأوصافها الداخلية والخارجية. ومن هنا، فالوظيفة هي" فعل شخصية قد حدد من وجهة نظر دلالته في سيرورة الحبكة"

هذا، وقد أثبت بروب بأن عدد الوظائف التي تتضمنها الخرافة العجيبة محدود، وإن تتابع الوظائف متشابه، وتنتمي كل الخرافات العجيبة، فيما يتصل ببنيتها، إلى النمط البنيوي نفسه. وتتضمن كل حكاية متوالية أو متواليات سردية، حسب منطق الإساءة. وهناك عناصر مساعدة تصلح للربط بين هذه الوظائف.

وعليه، فقد اتبع الباحث منهجا وصفيا قائما على الاستقراء، والوصف، والتصنيف، والتحليل، والتمييز. ومن هنا، فهمه الوحيد هو دراسة الأشكال والقوانين التي تتحكم في بنى الحكاية الشعبية الروسية. ومن ثم، فقد كان يستجلي الثوابت التي تتأسس عليها الحكاية الشعبية الروسية، وجرد

المضامين أو المحتويات المجردة المشتركة التي تقوم عليها هذه الحكاية.أي: رصد الثوابت والمتغيرات معا في الحكاية الشعبية الروسية. بمعنى أن الباحث يبين لنا ماهو ثابت في الحكاية وماهو متغير بطريقة شكلية مجردة.

إذاً، لقد وسع فلاديمير بروب المقترب الشكلاني باهتمامه بالأنساق البنيوية للحكاية الشعبية، واستخلاص الوحدات الدلالية، والاهتمام بالمبنى الحكائي، من خلال التركيز على الوظائف وأفعال الشخصيات، وعدم الاهتمام بمضامين الحكاية ومتغيراتها السردية. ويعني هذا أن بروب كان قريبا من التحليل البنيوي السردي والسيميائي، على الرغم من اهتمامه بالمبنى الحكائي وأشكاله السردية.

تستند منهجية فلاديمير بروب إلى تلخيص للمتن الحكائي، ثم تقطيع الحكاية أو النص الخرافي إلى مجموعة من المقاطع والمتواليات السردية بشكل دقيق، ثم تقطيع تلك المتواليات إلى مجموعة من الوظائف، ثم استخراج العناصر المساعدة في الحكاية، ثم توزيع الوظائف على الشخصيات السردية، ثم تبيان طرائق تقديم الشخصيات، ومختلف صفاتها وحركاتها في الحكاية. لكن ما يهم في التحليل هو التركيز على الثابت الوظائفي، بدل التوقف عند المتغير الأسلوبي والحدثي والوصفي.